

أخبار محلية

الاستاذ/ عادل عسوم يكتب.. وللأماكن عذابات وأوجاع ..

أضواء البيان • 15-02-2024 • 7 دقائق قراءة



وللأماكن عذابات وأوجاع

الأمكنة يا أحباب كالأزمنة لها عذابات وأوجاع، وفي ذلك قال المتنبي:

لك يامنزل في القلوب منازل

أقفرت أنت وهن منك أو اهل

سنار المدينة...

كانت ولم تزل في خاطري صبية شقية، تنبيري بعنفوان عمرها للمطر، تفرد ذراعيها لتراقص النسيم، يبتل ثوبها

بحبات المطر فيشي بمواطن جمال تحسبه الفراشات ورودا فتأتيها سراحا بحثا عن رحيق...

الشمس تشرق من هناك، والقمر يعقبها ليصل ليلها بنهارها...

في سنار اختلج الفؤاد لأول مرة، وما أحلى دقات القلب الأولى يا أحباب...

وتبقى ذكريات الشخوص والمواقف والمشاهد مرتحنة بصور المدينة على اتساعها...

باحات الثانوي العالي التي تعددت في الوجدان بروشا من حين...

سور نادي السكة الحديد الذي كان ولم يزل أخضرا وباسما بأزهاره التي تذهب عن النفس الضجر...

عنابر مستشفى سنار التي تفوح منها رائحة البنسلين... أبراج محالج القطن التي تحط عليها طيور البقر البيضاء

بصوتها الأجش، ذكرني صوت احداها بقريبة لي حسناء (باتعة) ذات صوت أجش، وما أدراك ما في ذلك التضاد من

ادهاش!

خزان مكوار الذي يلف ذراع النيل كسوار جميل...

قبة الشيخ فرح ود تكتوك وهي تناديك من بعيد...

والدنا في سنار دوما مطيرة...

مطر يعقبه مطر، قالت لي دواخلي يوما:

الذكريات التي يشوبها المطر تبقى حية على الدوام،

وكم من ليال تحلق بي في ثاياتها صور لشخوص كما الأقمار، تنسرب إليها أشواقني ومشاعري لتدعني حرضا على

فراشي، وتنبيري هي عروسا للبحر بكامل زينتها، تمسك بكفيها مجدافين من بلور...

وهناك عند التقاء خط انتهاء أفق الأرض بسقف السماء تتمدد خضرة الماضي الجميل صفوفًا من أشجار تحف

النهر على جانبي خزان مكوار، تصطف رموشا تحرس مقلة سليل الفراديس، وثم سرابات من ورود تكسو الأرض

على مد البصر لتحكي عن كرنفالات من الألوان، وفوح لعطور مشبعة بها السوح والفضاءات، وفي قبة السماء

ينبيري قوس قزح تأتلق ألوانه أثلاقا، والنسيم يحتشد برطوبة تنسرب إلى الصدور ليتمشى في مفاصلي النعس،

والكون كأنه قد غفى غفوة المساء، وللاصوت إلا من (لشغ) الموج نتاج ملامسة المجدافان لسطح المياه،

يااالجمال المشهد يا أحباب، ويالعذابات المكان وأوجاعه...

وإذا بصوت الراحل أبوالمعين من البعيد ينساب من السماء:

بتتعلم من الايام مصيرك بكرة تتعلم...

والقلب يا أحباب إن كتب له الولوج إلى عوالم حب -لا ترجح له كفة أخرى- يضيبيبيبي...

وتترى الأسئلة حيرى تقض المضجع وتدمي الفؤاد...

متين عرف الهوى قلبك؟!

متين صابك بأهاتو؟!

متين سهر عيونك ليل طوييييييلة ساعاتو؟!
 وإذا بعواء القطار وصرير كوابحه يجيشان في صدري مشاعر عجيبة، وعندما يهمل بالتوقف قبالة بيتهم يذكي في
 دواخلي الكثيف من المشاعر والتحيز، فتدق في دواخلي الطبول بكل ايقاعات الدنيا، بيتهم يطل على خط السكة
 الحديد، ووالدها يعمل في ذات القطار...
 ياالجمال ابتسامتها وهي تطل بوجهها الصبوح ترقب نزول الوالد من إحدى عرباته،
 وياللفراش الذي يتخلق من جبينها لينطلق صوب عيون القاش يتعبد الله...
 وتحين منها التفاتة تجاهي فتصليني سهام نظراتها، ويقتحميني الصوت من البعييد متحدثا بلسان حالي:
 اقابلك وكلني حنية
 واخاف من نظرتك ليا
 واخاف شوق العمر كلو
 يفاجأك يوم في عينيا.
 وتنصرم سنوات العمر كحال حبات مسبحة في يد شيخ وقور لأعود إلى سنار وأقف بجوار الخزان ذات مواقف
 سبقت، وسنار كلها موقف...
 السوح مافتئت يبلها المطر، والفضاءات تعبق بروائح الليمون المتناثر شرق الضفة، تخالطه روائح الموز المنداحة
 من الضفة الأخرى حيث يرقد الشيخ فرح ود تكتوك...
 هنا كان مجلسنا...
 انها لعمرى ذات الصخرة تطل على الأمواه هياما بهذا النهر الذي نحبه ويحبنا، ولم تزل عصافير الخريف وطيير
 الجنة تشقشق محتفية بزيفة المطر...
 أمواه تكتنف مد الرؤية سوحا وفضاءات، وشلالات تنهال من بوابات السد تعلوها سحب تنثال منها حبات المطر
 لتغازل وجوه الناس والأزاهر...
 وينداح النسيم وينسرب بلطف فترتوي الأعماق...
 لعله ذات النسيم الذي خاطبه ذاك وقال:
 أرجوك يانسيم روح ليهو
 بي اشواقي صرح ليهو
 وأذكر صبوتي وسهاد...
 والنسيم دوما مطواع مطواع...
 وبين يدي اتشاح الشمس بقرمصيص أشعة الغروب مللملة اطرافها شروعا في الرحيل أتذكر سبتنا ذاك...
 لقد كان السبت الذي يسبق شروعا في امتحانات الشهادة الثانوية بأيام...
 كأني بها قمر منير، بل كوكب دري، أو لعلها شمس إبراهيم التي خالها ربا...
 تتسامى الروح مني وتتغشاني مشاعر جميلة، وإذا بصورة وجهها الملائكي يرتسم على صفحات كتب الكيمياء،
 والفيزياء، والأحياء...
 وإذا بكل الرموز ليلي، وكل المعادلات ليلي، وإذا بكل الرسوم ليلي...
 جلست انظر إلى قبة الشيخ فرح ود تكتوك وليلاي تبتعد في ركب الشمس التي شرعت في الغروب...

قبة فرح ودكتوك ليست ككل القباب، وقد جبلت على شتآن القباب طرا، بل احسبني من أكثر الغامطين لمآلات الإعتقاد الذي يلج من كوته الشيطان إلى قلوب ووجدان أهلنا الطيبين بسبب تلك القباب، لكن يقيني راسخ بأن الراقد تحت هذه القبة أمرؤ مات وانقطع عمله الا من ثلاث... وما أدراك ما فرح ود تكتوك!...

لقد عاش الرجل في سنار مئة سنين وازداد عسرا، فبقيت سنار في وجداني طفلة بمد عمر هذا الشيخ الجليل، ولم أفتأ أستروح عبق ماضي المدينة التليد كلما ذكر اسمه، وكم استهوتني كتابات عديدة كتبت عن مآثره وأقواله فكانت مدخلا و ماثرا لنقاشات وأحاديث لرفاق فكر ومنهج يضع مسكا وتصالحا مع النفس... والأمكنة يا احباب تزدد جمالا كلما ذخرت بما يتصل بماض لها تليد...

لنلق نظرة الى من حولنا من الشعوب، أليس الأحباش أكثرهم جمالا من حيث الطبع والتراث والأنسنة؟! حتى اللغة عندهم أجدها أوقع موسقة في الأذن عن سواها من لغات الشعوب من حولنا، وما ذاك إلا لكونهم شعب له تاريخ تليد وحضارة ضاربة في القدم، وكان مسك ختامها الاسلام ومن قبلها المسيحية، ولاغرو إن توالي السنون يعجم من عود الشعوب فينضجها لتخطو السعوب على درب النضج الجمال فراسخ وأشواطا...

سنار المدينة تستمد من قبة الشيخ ود تكتوك أصالة وتجذرا، تتبين ذلك منذ أول ولوج لك اليها... حتى المطر في سنار له رائحة دون سواه في بقية مدننا، تحس بالارتواء وانت تتنسم زيفة المطر في سنار، أنسامها تكتنفها أخلاط من رائحة الطين المعزج بعبق الليمون والموز والمانجو وكثير من شجر الحراز، وكل ذلك يحيط بالمدينة في ضاهريها التي ترفد المدينة بلواري الفحم كل يوم...

يا هذه الذكريات التي مافتتت تسكنني وتهبش في مواطن العذابات والأوجاع!! ذكريات قد تذكيها نفحة عطر، أو صورة وجه جميل، أو نبرة صوت حنين... وتظل سنار المدينة بشخوصها في خاطر والوجدان مدينة من نور.

adilassoom@gmail.com

<https://www.almuhit-adn-news.com/news/473> /الاستاذ عادل-عسوم-يكتب-وللاماكن-عذابات-واوجاع

© 2026 شبكة المحيط الإعلامية — جميع الحقوق محفوظة